الباحث ابراهيم أحمد:

فلسفة هيدجر محاولة جدية لتشخيص الحداثة عبر مختلف مكوناتها

الجزائر ـ «القدس العربي»:

أصدر الباحث ابراهيم أحمد كتابه الأول بعنوان «اشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر» عن منشورات الدار العربية للعلوم بلبنان، ومنشورات الاختلاف بالجزائر. بهذه المناسبة كان لنا معه هذا اللقاء:

■ ما هي الاشكالية التي يعالجها الكتاب؟

■ العشرون هو عصر الاختلاف والامتلاء الفكري والمادي، داخل كل بنيات الفكري الغربي، انه فكر حاول أن يؤسس لكل التناقضات من أجل تحقيق الوحدة، لكن عادة ما كانت عناصر غير متجانسة، هي التي تفكك هذا الانسجام، وذلك طبعا مرجعه الى تلك الممارسات التي طبعت جوهر الفكر الغربي الحداثي، والتي كانت رموزه وتجلياته تأخذ طابعا تراجيديا مأسويا أكثر مما هو طمأنينة، فمن موت الانسان، الى العنصرية، فالاغتراب ثم اللاانسانية، والفردانية شكّل ابيستمي قيم هذا العصر، والذات الانسانية التي تحياه، والتي تأكدت من خلال مجموعة من الأنسقة الفلسفية، التي حاولت أن تفكر وتعيد النظر في كل مرجعيات وممارسات الفكر الغربي، ورموزه وفي هذا المجال يأتي حضور «هيدجر» كسلطة فلسفية معرفية، حاولت البحث عن وعي جديد من خلال «الدازاين» وعلاقته بالوجود، دون أن نهمل أو نقصي اختلافية هذا الفكر في أسسه وقواعده (كأطره النظرية والاجرائية).

هذه المرجعية لم تكن واحدة، بل تنوعت بتنوع الاشكاليات، وبالدرجة الأولى بتنوع السؤال الفلسفي فمن وضعية منطقية مع «برتراند راسل» و«توماس مور» و«رايل» في بريطانيا الى مدارس لغوية مع «فنغنشتاين» في النمسا وكذا «كارناب» و«شليك» و«آير»، الى فينومينولوجية «ادموندهوسرل»، واتباعه من الوجوديين أمثال «جون بول سارتر»، «ميرلوبونتي»، «ألبيركامي»، «سورين كيركيغارد»، «كارل ياسبرز» دون أن ننسى «مارتن هيدجر» وبنيوية مع كل من «ليفي ستراوس»، «جاك دريدا»، «جاك لاكان»، «ميشال فوكو»، «جيل دولاز»، «جان بياجي»، وماركسية مثلها «لوكاتش» و«غرامشي» و«غلفانو»، وحدسية مع «كروتشي»، بالاضافة الى فلاسفة العلم المعروفين مثل «ريشمباخ» و«هازنبارج» و«كوهن»، «فاير» و«آبلد»، «هاري»، «باسكار» و«أنشتاين» وغيرهم كثيرون

نعتقد بضرورة التركيز على وضرورة تفسير العضوية الفكرية الحديثة، من دون تغليب طرف على آخر، أي بوصفها عضوية متحركة تسجنها التناقضات البنيوية، اذ نرى أن آليات الانحطاط وآليات التطور تتشابك في فكر القرن العشرين بصورة عضوية تجعل من الصعب الفصل بينهما فهي تفعل فعلها في المفكر الواحد والنص الواحد

وينبغي هنا أن نلقي المزيد من الضوء حول مفهوم انحطاط الفكر فالفكر يكون صاعدا حين يسعى في آلياته الداخلية الى تملك الواقع وامكاناته من أجل تغييره وتطويره واعادة خلقه على مستويات أعلى، أي حين يحمل قوى الفعل والنشاط، ويسندها ويرسخ الايمان فيها وفي مقدمتها العلم، وعليه فانه يكون صاعدا اذا كان صورة متناهية للعقلانية العلمية، أي اذا كان يهدف الى تعزيز الأرضية الفلسفية التي يفترضها العلم ويفترضها كونه المعرفة الرئيسية بصدد العالم فاذا نزع الفكر الفلسفي الى تحطيم مقومات العقلانية العلمية بالمعنى المطروح، فقد بعده التقدمي ودوره الصاعد وأضحى متحطما، بمعنى آخر: اذا اتخذ الفكر الفلسفي السائد موقعا في مجابهة قوى الحركة أو التقدم، وفي مقدمتها العقلانية العلمية من أجل تقييدها وتحديدها لاعلان نهايتها، أضحى معاديا للانسان في حريته وتقدمه.

وهذا ما سيتجلى في تنكر الفكر الغربي المعاصر لتراثه الذي ازدهر في القرن الثامن عشر، وبالتدقيق في عصر التنوير على يد مفكري البرجوازية الأوروبية، ووصل قمته في منتصف القرن التاسع عشر عند مفكري البروليتاريا الأوروبية الثورية (ماركس وانجلز) بالتحديد، وفي هجومه الصارخ على هذا التراث وما يحمله من قيم، وفي محاولته لتصفية هذا التراث، بل وتصفية ارهاصاته الأوروبية والاغريقية كما حاول أن يفعل «مارتن هيدجر»، والذي هو محور تحليلنا وتفكيرنا في هذا الكتاب الا أن مثل هذه المحاولة ستشكل بالطبع خطورة لا مثيل لها في تاريخ الفلسفة، والذي سيشكل بهذا الفكر اللاعقلاني كذلك أداة ناجعة في أيدي الدولة المستبدة، ومثقفيها لعدم العقل النظري نفسه، أي تصفية ممارسة الفكر الفلسفي والنظري في الوقت نفسه.

■ لماذ الاهتمام اليوم بمارتن هيدجر والفلسفة الوجودية في هذه الفترة بالذات؟

■ تتجلى أهمية هذه الفلسفة أولا في عمقها وفي جدة تناولها للعديد من القضايا الفلسفية التقليدية، كالحقيقة، والماهية، والتاريخ والانسان بالاضافة الى كونها محاولة جدية لتشخيص الحاضر أو الحداثة عبر مختلف مكوناته كالعلم والتقنية كما أنها تتضمن محاولة لتفسير غائي أو قدري لكل التاريخ الغربي تفسيرا يجمع حلقاته المتنوعة ومكوناته المتناثرة في اتجاه تحقيق التقنية واستكمال السيطرة على الانسان والطبيعة.

ولهذا السبب المرجعي أبينا إلا أن نبحث ونكتشف سر هذه الفلسفة التي يعتبرها الكثير من النقاد بأنها الفلسفة الصماء، لكنها فلسفة تعلمنا فن اللغة أكثر مما أنتجه الفكر الانساني تقريبا منذ وعيه على التأمل والتفلسف، ولم نرد أن نقرأ مثل هذه الفلسفات قراءة كلاسيكية لا من أجل الثناء أو الانغلاق وذلك حتى لا يتعدى علينا الأمر أن يكون عملنا هذا مجرد تلخيص وحصر للكيفيات التي نظر بها ذلك المفكر الى نفسه، وقوفا عند المنابع التي نهل منها، والأصول التي تفرع منها، بل سنحاول قراءة فلسفة «هيدجر» في طرحه لاشكالية الوجود والتقنية قراءة ابستيمية نقدية وذلك حتى يرتقي هذا العمل الى المستوى الفلسفي المطلوب وحتى تكون قراءتنا هذه واضحة ومفهومة، وخاصة أن فكر «هيدجر» الفلسفي يبدو ولأول وهلة جد معقد سنحاول تأويل خطابه من مجرد تقرير ووصف الى مستوى النقد والتمحيص، وسوف نركز على أن يكون سؤالنا حيا دائما وفق طرحه الفلسفي.

■ ما هي مشاريعك المستقبلية؟

■ لقد انتهينا مؤخرا من تأليف كتاب ثان حول الفيلسوف نفسه أي حول «مارتن هيدجر» ولكن هذه المرة حول اشكالية الانطولوجيا واللغة، وهو كتاب في الحقيقة مكمل للجزء الأول؛ ونحن اليوم في صدد تحضير كتاب آخر يقارب مسألة العولمة واشكالية نهايتها في الخطاب الفكري الغربي.

التقاه: بشير مفتي

المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي في القاهرة: تحت عنوان «البلاغة والدراسات البلاغية»

دراسات موسعة حول البلاغة الجنسوية والشعرية والروائية وصراع الحضارات

القاهرة ـ «القدس العربي»

من محمود قرني:

عقد في القاهرة مؤخرا المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي بمقر دار الهيئة الهندسية بضاحية مدينة نصر، المؤتمر تقيمه جمعية النقد الأدبي التي يترأسها الأكاديمي والناقد المعروف الدكتور عز الدين اسماعيل رئيس هيئة الكتاب الأسبق، وذلك بالاشتراك مع كلية الآداب بجامعة عين شمس، وسوف تستمر فعاليات المؤتمر حتى الخامس من الشهر نفسه.

وقد أشار الكتاب الصادر عن المؤتمر صراحة على غلافيه الأمامي والداخلي الى أن المؤتمر جاء تحت رعاية مؤسسة «عبد المقصود خوجة» بجدة ومؤسسة عبدالحميد شومان بالأردن، والمقصود بالرعاية هنا هو التمويل المالي للمؤتمر، حيث ان الامكانات المحدودة لجمعية النقد الأدبي لا تمكنها من الانفاق على المؤتمر، كذلك لا يتلقى المؤتمر دعما من أي نوع من الدولة المصرية، وهي معركة خاضها الدكتور عز الدين اسماعيل وعدد من تلاميذه ومحبيه من النقاد الأحدث، وفيما يبدو كانت موجهة ضد الكثير من التجاوزات التي تشهدها المؤتمرات التي تقيمها وزارة الثقافة، في الوقت نفسه يبدو الدكتور اسماعيل ورفاقه مشغولين بالسهر على دفع العملية النقدية الى مزيد من العلمية، لذلك ينحو المؤتمر عادة الى التخصص وينأى بقدر الامكان عن العناوين الفضفاضة التي تعمل ضد الاصطلاحية، وقد كان هذا الهاجس المبكر وراء تأسيس الدكتور عز الدين اسماعيل لمجلة كانت مهمة هي مجلة «فصول» التي تصدرها هيئة الكتاب وتترأسها حاليا الدكتورة هدى وصفي بعد أن ترأسها الدكتور جابر عصفور قبلها وبعد الدكتور عز الدين اسماعيل في النصف الثاني من الثمانينيات.

ويشهد المؤتمر الذي يستمر لأربعة أيام أكثر من عشرين ندوة تحت عنوان واسع هو «البلاغة والدراسات البلاغية» وشارك عدد من الباحثين من مصر والعالم العربي وبعض الباحثين الغربيين بأوراق تدور محصلتها تحت راية عنوان المؤتمر.

فيشارك ادموند رايث، عبدالمجيد زراقط، فايز القيسي، صدوق نور الدين، محمد غيث، عبد اللطيف محفوظ، عبد السلام المسدي، بينارد. ل. ميسيغو، يوسف بكار، عصام بهي، علي جعفر العلاق، يادوسلاف ستيتكيفتش، علاء عبد الهادي، محمد عبدالمطلب وعدد آخر من الباحثين. وسوف نحاول هنا أن نتوقف قليلا أمام المحاور الأساسية التي تثيرها أبحاث المؤتمر وعلى رأسها البلاغة الشعرية، وكذلك بلاغة الرواية، والبلاغة في الكتابات الجنسوية، والبلاغة والثقافة لا سيما في صورتها الشرقية والغربية.

البلاغة في الخطاب الشعري واثنا عشر بحثا جديدا

من بين الأبحاث التي قدمها هذا المحور تلك الورقة البحثية التي قدمها فايز القيسي تحت عنوان بلاغة الخطاب الهزلي في الشعر العربي القديم، والورقة تسعى الى قراءة رؤية حازم القرطاجني لبلاغة الخطاب في الشعر العربي القديم في كتابه «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»، وتحليل ما وقف عليه من أبعاد التقليد الخاص بطريقة الهزل والسنن البلاغية المتبعة التي سنها الشعراء وطرقوها من قبل في جانب المعاني والشكل، حيث ذهب حازم القرطاجي الى أن الشعر ينقسم الى طريقين هما الجد والهزل.

ويضيف الباحث أن القرطاجني يحدد الجد بأنه «مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مروءة وعقل بنزاع الهمة والهوى الى ذلك»، أما طريقة الهزل «فانها مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف، بنزاع الهمة والهوى الى ذلك».

ويرى فايز القيسي في ورقته أن حازم القرطاجني يظهر في تعريفه بين طريقي الجد والهزل المرجعية الأرسطية لا سيما في مفهومهما للتراجيديا والكوميديا، حيث يظهر ـ حسب الباحث ـ اعتماده على ملاحظة أرسطو من أن الشعراء الأخيار حاكوا الفعال النبيلة وأعمال الفضلاء، أن الشعراء حاكوا فعال الأدباء فأنشأوا الأهاجي، في حين أنشأ الآخرون الأناشيد والمدائح.

أما أيمن تعيلب فقدم روقة بعنوان «المصطلح الابداعي وتأسيس الحد البلاغي دراسة في الخطاب الشعر التشعبي ويدرس في بحثه الرؤية الجمالية التشعبية لدى الشاعر علاء عبدالهادي وفق محاور ثلاثة هي: من بلاغة المعيار الى بلاغة التجريب، المصطلح النقدي المجازي وتأسيس الحد البلاغي، ومصطلح «الاصغاء الموضوعي» وبلاغه النص التشعبي.

أما علوي الهاشمي فقدم ورقة بعنوان «تأملات نقدية في الحداثة الشعرية العربية وتتناول الورقة ملاحظات جمالية واجتماعية على واقعنا الأدبي والنقدي بصفة عامة، والشعري بصفة خاصة، وتتوقف عند ظاهرة الافراط في التجريب الى الحدّ الذي جعله ـ حسب الباحث ـ يقترب من التجريب، الأمر الذي يدعو الباحث الى القول بمراجعة الحداثة الأدبية من جهة، ومراجعة العلاقة الحرجة بينها وبين سلطة الواقع من جهة أخرى، وكذلك يرصد الباحث ما تخلت عنه حداثة اليوم وكانت تتبناه بالأمس على مستوى الواقع والفكر واللغة.

أما ورقة عفت الشرقاوي فجاءت تحت عنوان «سياق التعاطف في الشعر المعاصر، نزار قباني نموذجا»، وتتناول الورقة بالبحث مقولة حول بلاغة التعاطف في النصوص العربية وعلى رأسها القرآن الكريم، أما الباحث مصطفى الكيلاني فيقدم ورقة بعنوان «بلاغة اللا معنى في الشعر العربي المعاصر» وتتناول الورقة البلاغة الخاصة بالملفوظ الشعري العربي المعاصر، الاستعارة الشعرية الحية الجديدة بعيدا عن المعاني الجاهزة والمسيقة بمحاولة الانخراط في قراءة «منطق» مختلف لا يفرق قسرا بين المعني واللا معني ولا يباعد بين اللغة والكلام، وبين الواقع والمثال، وبين مطابقة الحالات بجاهز المرجع التشبيهي والايحاء، كما يستدعي البحث اتباع المفهوم الجديد للاستعارة الشعرية الذي لا يقتصر على اللغة والتناوب المنطقي. كذلك يسعى البحث الى قراءة بعض النصوص العربية المكتوبة في العقدين الأخيرين.

ويقدم الدكتور علي جعفر العلاق بحثا بعنوان «بلاغة القصيدة الحديثة» يناقش فيه البلاغة التي يختارها النص أو تختاره، ويقول انه اذا كانت البلاغة في مجملها، مسعى يستهدف من خلال المجاز والاستعارة والتشبيه، تلطيف القول، أو صقله، أو جعله في نطاق الحواس، فان بلاغة القصيدة الحديثة تفارق هذا المسعى في بعض الوجوه، وقد تتلاقى معه في وجوه أخرى، فهي تفارق الزينة المفرطة، وانثيال اللطائف تحديدا، وتذهب، في فعلها، الى الهاب نص اللطائف تحديدا، وتذهب، في فعلها، الى الهاب النص دلالة وبناء ورؤية.

ويضيف العلاق أن الورقة لا تميل كثيرا الى التأمل النظري المجرد، بل تذهب في تعزيز حجتها، الى تفحص النصوص والاحتكام الى طرائقها في البوح، لذلك سيكون هناك عدد من القصائد التي تكشف عن هذا المسعى وتزيد من وجاهته أو جدواه.

وفي نفس السياق تأتي ورقة ماجد الجعافرة تحت عنوان «بلاغة النص الشعري العربي المعاصر، قصيدة رثاء المالكي» لأحمد عبدالمعطي حجازي أنموذجا، ويقول الباحث ان الورقة تدرس الأشكال البلاغية في النص الشعري وما لها من قوة في تصعيد شاعرية النص، وأن الأشكال البلاغية ليست زينة أو حلية يتحلى بها النص وحسب، ولكنها تشكل جودته وكنه سحره، كما أنها ذات أثر أساسي في بنائه.

كذلك يقدم محمود درابسة «بلاغة النص الشعري الجديد، عبدالله البردوني نموذجا» ويقدم فايز عارف القرعان ورقة بعنوان «سلط النص في اختيار دالات الشكل البلاغي» وهي دراسة تطبيقية على النص الشعري.

ويقدم محمد أمين المؤدب تحليلا لقصيدة جرير التي يقول في مطلعها: أتصحو أم فؤادك غير صاح – عشية هم صحبك بالرواح، ويقدم عبدالفتاح يوسف ورقة بعنوان «السيمياء والاستعارة في شعر المعارضات، وهي مقاربة سيميائية في تحليل النصوص وعلاقاتها بمرجعياتها.

أما الدكتور علاء عبدالهادي فيقدم ورقة تحت عنوان «بلاغة الشعرية المسرحية»، ويقول عبدالهادي ان الفن المسرحي يملك، بين مستوى وجوده بالقوة ووجوده بالفعل، نص الكتابة – نصوص العرض، طبقات بلاغية متفاوتة، تختلف بتعدد أشكال العرض، والاحتمالات الممكنة لانتاج نص واحد، فكل عرض مسرحي و حادثة فريدة، ووحيدة، لا تقبل التكرار، وهذا هو – حسب علاء – ما يؤسس بنية الاختلاف البلاغي بين المسرح وغيره من الفنون ومنها الفن السينمائي.

كذلك يقدم الدكتور محمد بريري ورقة بعنوان «بلاغة السؤال ونزعة الشك عند الشاعر الجاهلي»، أما مي أحمد يوسف فقدمت ورقة بعنوان «سينية الشاعرة سكن في مدح المعتصم» وهي عبارة عن قراءة تأويلية كما تقول الباحثة.

والرواية وفلسفات البلاغة السردية

في هذا السياق قدم المؤتمر عددا من الأوراق النقدية منها تلك الورقة التي قدمها صدوق نور الدين تحت عنوان الترتيب في الرواية العربية، ويقول الباحث ان ورقته تتأسس على مفهوم الترتيب وهو يتداخل أصلا مع مجالين: البلاغي والأسلوبي الأدبي، ومن ثم يتحقق الاشتغال عليه باضاءة الجوانب البلاغية والأسلوبية، وما لها من وثيق الصلة بعلم النحو بوصفه قواعد ضابطة لنظام الترتيب، أما سعيد الوكيل فقدم ورقة تحت عنوان «جماليات السرد في الرواية التشعبية، وينطلق الباحث في ورقته من فرضة ترى أن النص الأدبي الذي يعتمد على تقنية النص الشعبي له ملاحته البلاغية الخاصة.

ويضيف الباحث ان هذا يتضح من خلال مقارنته بالنص الأدبي الخطي، من حيث عناصر دائرة التواصل، وخصوصا ما نراه من اختلاف واضح في طبيعة المتلقي ودوره، وفي طبيعة قناة التوصيل وكذلك في مادة التواصل اللغوي ذاتها، كذلك قدم محمد مشبال بحثا تحت عنوان «عن مفهوم بلاغة الرواية» ويقول الباحث انه أراد الاسهام في صياغة نموذج بلاغي للنص الروائي يقوم على ضرورة التفاعل الحي مع الأعمال الأدبية بوصفها نماذج حية وليست أبنية جامدة، وهو نموذج يختلف عن نماذج البلاغة الجديدة التي تسعى الى التقنين والضبط، مستلهمة اللسانيات والشعرية والبلاغة القديمة، كذلك قدم باتريك باريند بحثا تحت عنوان «الرواية وبلاغة الخطاب الداخلي».

ويشير الباحث في مقدمة ورقته الى أن الرواية ظهرت في وقت متأخر مقارنة ببقية الأجناس الأدبية الكلاسيكية، وما زالت حتى الآن على حالة من التوتر في علاقتها بالبلاغة، ويفترض البحث أن بلاغة القصص هي بلاغة غير المفصح عنه أو ربما المفصح عنه سرا، ويقدم الباحث نموذجا تطبيقا على أعمال الكاتب الكلاسيكي الشمال أفريقي «أبيوليوس».

كذلك يقدم شكري عزيز الماضي بحثا بعنوان «المفارقة في روايات اميل حبيبي»، ويرى الباحث أن روايات «اميل حبيبي» تعرض للقضية الفلسطينية بتشابكاتها وتعقيداتها وأبعادا في الدين والسياسة والأخلاق والتاريخ والحب والقهر الاجتماعي، والقهر الوطني، والاضطهاد العنصري، وهي أبعاد يراها الباحث تنطوي على عناصر متعارضة ومتناقصة ولهذا تحتم رواياته توليد المفارقات. ويقول الباحث ان هذه المفارقة هي موضوع البحث باعتبارها حيلة بلاغية تنطوي على السخرية والتهكم والهجاء وتعد ضربا من التأنق يتأسس على علاقات التضاد وتجاور المتنافرات ومبدأ عدم التوقع.

ويقدم ميريام كينياني أوزور قراءة في مظاهرة البلاغة المعادية للنساء في الرواية في شرق أفريقيا، عبر نماذج لكل من أحمد محمد ويوفراز كيزيلاهابي، ويقدم عبدالله الفيفي بحثا تحت عنوان «القصيدة ـ الرواية تداخل الأجناس في بلاغيات النص المعاصر ـ رواية الحزام لأبي دهمان نموذجا»، وتقدم مها سلام تحليلا بلاغيا لرواية المتمهل لجون كوتسي، أما فدوى عبدالرحمن فتقدم بحثا تحت عنوان «امكانات التغاير في رواية المريض الانكليزي لمايكل أونداتجي، ويقدم شعيب حليفي بحثا بعنوان «بلاغة الصورة في الرواية، دينامية الاستعارة واشتغال التأويل»، كما يقدم مصطفى عبدالغني ورقة بعنوان «الاتجاه الدلالي في رواية المنفى، بلاغة السرد في الرواية الفلسطينية المعاصرة».

الجنوسة وبلاغة السرد النسوي

قدم المؤتمر من بين ما قدم عدة أوراق بحثية حول البلاغة في النموذج الأدبي النسوي.

ونبدأ من بحث للدكتور محمد عبدالمطلب تحت عنوان «بلاغة السرد النسوي» ويبدأ عبدالمطلب دراسته بتحليل مفاهيم البلاغة والسرد النسوي، ثم ينتقل الى مفهوم الأدب النسوي، ويقول الباحث ان الدراسة تتجه الى متابعة المنتج السردي النسوي لاستخلاص أهم تقنياته التي شكلت خصوصية، وفي مقدمتها، ارتفاع الصوت النسوي كما وكيفا في معظم المسرود النسوي، ثم تأتي تقنية راصدة للقهر الذكوري المسلط على الأنثى.

ويضيف عبدالمطلب، أنه يناقش في المقابل رد فعل ذلك بظهور اتجاهات سردية تقاوم هذا القهر، بل تتعداه الى هدم الذكورة ذاتها.

أما الورقة المقدمة من روزالين لونجاهو فجاءت تحت عنوان «مساءلة التحليل البلاغي النسائي الغربي للنصوص الأدبية الأفريقية» وتقول الباحثة انها تناقش النقد البلاغي النسائي في أوروبا لأعمال الذكور الأفارقة، حيث ترى أن النقد الراديكالي النسائي في الغرب هو العنصر المسيطر على النقد المعاصر للأدب الأفريقي، ولكنه مبني على أفكار قابلة للنقاش، وتضيف: انه يستلزم نظرة نسائية للتمييز الجنسي وللتناغم في المجتمع.

أما الدكتورة سعاد المانع فتقدم بحثا بعنوان «البلاغة في النقد الأدبي النسوي العربي، وذلك من خلال رصد صور النساء في الأدب، ورصد الصور الأدبية في كتابة النساء.

ويقدم محمد مهدي غالي ورقة تحت عنوان «البلاغة والجنوسة وذلك عبر تحليل الخطاب البلاغي في ضوء النقد النسوي».

البلاغة والمعرفة في ظلال التعدد الثقافي

تحت هذا المعنى الواسع قدم المؤتمر عددا من الأبحاث اللافتة التي ناقشت صورة البلاغة في الآداب المختلفة وعبر نماذج معرفية متعددة وطبقات حضارية مختلفة أيضا، فقدم ادمونر رايت بحثا بعنوان «السرد والبلاغة المعرفية»، كذلك قدم عبدالمجيد زراقط «التحليل البلاغي العربي بين اتجاهين»، وقدم عصام بهي «فلسفة البلاغة بين هربرت سبنسر وجبر ضومط»، وقدم فرانكو دي انتينو «صوت الكاتب: ليوباردي، والرومانسية، والبلاغة»، وقدم ايجارا كاباجي البلاغة السياسية في أعمال كتاب شرق أفريقيا، وقدم محمد الولي «البلاغة العربية والبلاغة الغربية عبر مقارنات نصية»، وقدم يرجي كواوس «دور البلاغة في الاتصال بين الثقافات»، وقدم بيل أشكروفت يوتوبيات نقدية، وأندراش كابانيوش «حدود الترجمة»، وسفتلا شميركوفا «البلاغة بين الثقافات، وانطونيو نافارو «بلاغة لون البشرة في الاعلام والتاريخ».

بقي القول ان هذا الجهد النافذ، الذي يستحق الكثير من التقدير تقوم عليه جمعية النقد الأدبي وهي جمعية أهلية غير ممولة، يترأسها الناقد الكبير الدكتور عز الدين اسماعيل الى جانب من نشطاء مجلس ادارتها عبدالناصر حسن، علاء عبد الهادي ومحمد غيث ونهال النجار، السيد ابراهيم، محمد بريري، ونوال زين الدين.

ولا يقلل ـ بالقطع ـ من جهة الجمعية أن قامت على رعاية المؤتمر مؤسستا عبد المقصود خوجة وعبد الحميد شومان فهي رعاية بدورها تستحق التقدير والتكريم معا، فما أحوجنا، في الظلال غير الوارفة للدولة العربية أن ننأى بأنشطتنا عن عسفها وفوضاها وفسادها.

قـــص

الحلم القريب

أحمد بنميمون*

(1)

صحوتُ لأجد نفسي منهكا، فاغتظت، لكني لم أدهش، فأن يلازمني الارهاق منذ أول يومي فأمر لا يحمل على الدهشة، بل المدهش هو أن يحل بعض أسباب الراحة بي أو قريبا من داري، في ظل زمن مشتعل وقوده أعصاب الأهالي ودماؤهم، اقتنعت نفسي بذلك، فسكت عني غيظي، حتى أن شفتيّ حاولتا اظهارا لهذا الهدوء أن تتبسما، فأحستا أن هناك شيئا يمنعهما فلم تستطيعا انفراجا، ثمّ انتبهتُ أكثر، فوجدت أن يديّ قد شدتا الى جانب السرير، حيث أرقد، برباطين جلديين، وحاولت تحريك يديّ فلم تطاوعاني، فأدركت أنهما قيدتا أيضا الى حديد السرير نفسه، فأنا مقيد الى الذقن اذن، مُقمّحٌ كثور اذن، منذ وقت لا أذكره، لكن مع احساسي بما يشبه تسلخ جلد ظهري، وبخدر غير لذيذ يدب في كل بدني.

(2)

كنتُ في الحجرة وحدي، ففكرت أن أصيح مناديا، وحتى مستعطفا، من يسعفني. فتذكرت أن فمي المطبق على الرغم مني لا يستطيع ذلك، فأغمضت عينيّ مستشعرا مزيدا من القهر، فعاودني غيظي، وحاولت النوم فامتنع عليّ، لتهاجمني وساوس سودٌ، ازدحمت على باب خلوتي من كل نوع، وكل ناحية، فأينما وليت وجهي كانت صورها تهمي عاصفة، وبقدر ما يتزايد خوفي واضطرابي كانت أهوالها تتزايد انهمارا، حتى أغرقتني طوفانها، وخنقني ما تعالى من خضمها، موجاً من فوقه موجٌ من فوقه رذاذ ثقيل، ثمّ لم أعد أرى مما حولي شيئا، بعد أن رحمتني كفٌ تعاسي، لأحتمي بظلمات نوم أراحتني مما أرى في ضوء بروق من صور تتهددني.

(3)

لم أصحُ ثانية الا لأرى جو الغرفة وقد بدأ يعتم، فعادت الأشباح تتراقص من حولي، دون أن يطرق باب خلوتي الاجبارية من يمكنه اسعافي، أو حتى من يمكن أن أسأله عن سبب وجودي هنا، ثمّ أحسست أن ما يمنع فمي من النداء أو الصراخ ليس أثر تخدير، ولكن شيءٌ لزج ملتصق بمسام جلدي حول شفتيّ، حتى لا أصدر صوتا يعلن عن وجودي، فيمكنّ العابر قريبا من حجرتي، من الاهتداء اليّ...

ـ من جاء بك الى هنا ؟

كان المكان الذي يبدو أني احتجزت فيه غرفة في مستشفى عام، أو ربما كان احدى حجرات عيادة خاصة.

ـ أفتكون انهرت لطارئ صحيّ، أم اخترقت رصاصةٌ جهة ما من بدنك، وأنت تشارك في تجمّع أطلقتْ فيه قنابل مسيلة للدموع أو رصاص حيّ؟

طفوت فوق موج أسئلة ليطير بي ـ وأنا ذاهل عما يحيط بي ـ ما تبادر الى ذهني من مشاهد رأيتُ ما كان يتساقط فيها من أجساد غضة، تواجه بصدور عارية مجنزرات مدججة برّصاص وخوذ، فحاولت أن أرفع يديّ احتجاجا، وأن أصرخ، فمنعني ما يقيّد يديّ وصوتي في آن، لأعود الى جو الغرفة الطافية بي على بحر الدنيا، تتلاعب بي فيها أمواجُ هواجس سود، ورياح اضطرابات تعصف بتقديراتي التي لا تهتديّ...

ـ أتكون أحدى سياراتهم قد داهمتك؟ والا فلماذا أنت هنا؟

ـ وهذه الحجرة، أين تقع؟ وهل أتيت اليها راجلا، طوع ارادتك؟ أم هل جيء بك مقيدا؟

وتتابعت الأسئلة، حول أسباب ربطي بهذه القسوة، الى هذا السرير، وعما اذا كان هناك من يخشى ثورتي، فصبني في كل هذه الأغلال، التي ان استطاعت منع يديّ ورجليّ، وحتى فمي من الحركة، فهي لا تستطيع تقييد رأسي أو منع خفقات قلبي من أن تذهب الى حيث تدويّ الزغاريد، ويشق التكبير سحاب السماء كلما انضاف شهيد جديد الى اللائحة.

(4)

لم يخرجني من دوامة الصور الا صرير الباب التي ظهر من ورائه رجل بزيّ عسكريّ، وهو يرميني بشرر يتطاير من نظراته التي كانتْ تلمع بما يدل على أن بيني وبينه حسابا يجب أن يصفى في الحال، والا فلا معنى لأن يركز كل نار حقده عليّ، كل هذا التركيز الذي يكاد يشعل اهابي:

ـ بريء أنت في نظر نفسك لا غرو، ارهابي في نظر العالم.

وعرفت أن عينيه استقرأتا بعض خواطري، أو ربما يكون أراد استباقي الى القول حتى لا يُسمع في أجواء الغرفة الا صوتهُ، فما أعجب نزوات هؤلاء حين يعمدون الى قلب المنطق والطاولة وحقائق الأشياء، فكيف يتكلم وحده قُبالة متهم مُقيد مكمّم، كل ما يملكه هو هذا الرصيد المتزايد من البراءة أمام جور قُوى وقوانين تجتهد في الالتفاف على حقوق من كان مثلي؟

كانت البزة العسكرية لا تزال تخطو نحوي، وهي تصرخ:

ـ أأنت هو؟

وقد أعتم جو الغرفة كثيرا، وأصبحت لا ترى فيها الا الصوت العسكري الذي لا يرتد الى صاحبه شيءٌ من صداه، بين جدران صماء، داخل فضاء أعمى، وحاولت أن أصدع بما أحبّ قوله، لكن الشريط اللاصق على شفتيّ، منع صوتي من أن يزاحم ذبذبات الوعيد التي تحتل الأرض والهواء من حولي، فيرتج لها سمعي، فعادت الى الصراخ:

ـ حسابي معك عسير، وعقابي شديد.

حاولت أن أحرك شفتيّ ساخرا، فمنع الشريط اللاصق ضحكتي من الانتقال الى الرجل الذي أراح أذنيه من أية نأمة يمكن أن تصدر عني، اذ كُمّمت حتى قبل أن يحضر، وقد استعرض في مجابهتي، أقسى ما تقوم به بزة عسكرية أمام مستضعف مُقيّد، لا يقوى حتى على فتح فمه ليتساءل عن سبب وجوده في مكان كهذا. ولم استطع أن استرجع شيئا من ذكرياتي، أو ماضيّ القريب الا حينما ضغط الرجل على زر بالحائط فأضيئت الغرفة، لأرى أن بالباب امرأةً عرفتها على الفور، واتضح لي من يكون ذو البزة العسكرية، شديد البياض جلدة ورأسا، وقد ازداد بدانة الى درجة أصبح معها قصير القامة، وأن قامة المرأة العجوز قد تضاءلت أيضا، صحيح أن قامات الناس تقصر كلما تجاوزت أعمارهم الستين.

اقتربا مني ليكتسي وجهاهما بأكثر ألوان الامتعاض والغيظ شراسة، رغم أن عيني كانتا تضجان بأذين مبين، أكثر مما تستطيع حنجرة أن تفعل.

قالت (غولدا):

انه نفس الجنين... نفس الوليد.

والبريق الثاقب النظرة في عينيه انذارٌ بزلزالٍ أكيد.

وكأن صوتها كان في سمع (شارون) صادرا عني، فأطبقت الظلمة دون أن أدري ما اذا كان ذلك بسبب ضغط على زرّ، في الأرض أو جدار الغرفة، أو نتيجة انقطاع مفاجئ للتيار.

(5)

عدت الى الصحو لأجد نفسي في مكان ما في البرية، على مرتفع تترامى وراءه ألوان سحر حميميّ، والى جانبي أشخاص غلاظ شدادٌ، لا يعصون ذا البزة العسكرية، والمرأة العجوز ما أمراهم، ويفعلون ما يؤمرون به.

صرختْ في بزةٌ أخرى، وقد تدججتْ بكل ما استطاعت ارتداءه من ملابس واقية وخوذة غطت رأسها ومعظم وجهها، محتمية بمجنٍّ طويل عريض:

ـ لماذا كنت هناك؟ بل فيم وجودك في أي مكان؟

أردت أن أجيب، لكن فمي كان لا يزال مكمما، فسجل أحدهم في أوراق بين يديه ما أحبّ أن يقولّني اياه، وسمعتُ صوت (غولدا) مرة أخرى وهي تدينني :

ـ جريمتك أنت، أن رأسك سقط على هذه الارض لمضايقتنا منذ اليوم الاول...

كان بريق عينيّ يحتجّ، ونبضي يرتجّ، وأنفاسي تعلو، وهم يلوّحون أمام وجهي بكل أنواع الأسلحة والرشاشات الأوتوماتيكية، ما طاب لهم التلويح، لكن قبل أن يشربوا نخب انتصارهم عليّ، كان دويٌّ صرختي ينزع عن شفتيّ الشريط اللاصق الذي تطاير متشظيا، فصعق كل من بالمكان:

ـ ماذا تريدون مني ؟

وبكل قسوة وعدوانية أجاب (شارون) في عجرفة:

ـ أن تقبل بمشروعنا... مقابل سلامتك.

ـ وما مشروعكم؟

ـ أن تنبطح طوعا أو كرها، وأن تذوب في ما نراه لك وما لا نراه... و... و... وظل معجم القسوة يلد من شروط المحو والمصادرة واملاءات الضيم والاستخذاء على لسان (غولدا) حينا و(شارون) حينا آخر، كلمات ومصطلحات تصور حلما مكذوبا، وأن أسمع ولا أصدم، ولكني من سخريتي من منطق ما يجري كنت أنظر الى الأعالي، وأغوص الى أعماقي حيث تتردد هنا وهناك قهقهات تاريخ عن مهازل تتكرر، سرعان ما تتحول الى شبه بكاء هستيري، وصرخات احتجاج على كل من يريد لي أن أرى المقاييس مقلوبة، والمكاييل مزدوجة، وأن أراني في قمة هواني على نفسي، وعلى الناس ظالما غشوما.

(6)

فطفقت أغوص في التربة، وخطاب المفاوض يعلو... وحين عمد أحدهم الى تنبيهي أو استعادتي بوكزي للقضاء عليّ، وجدني كالشجرة انغرستْ جذورها في الأرض، ورفّت أغصانها، وأثقلت بأزاهير آوت أسراب فراشات تسقى من عذب رحيقها... فراشاتٌ ملونة بصُوَر تصدح بايقاعات تسحر العين، والعين تطرب مثل الأذن أحيانا، فامتدت اليّ أنيابٌ من فكّ